إبراهيم بن أدهم

أعـلام التصـوف

إبراهيم بن أدهم

كان والده من أغنى أغنياء خراسان وأحد ملوكها، ولد (إبراهيم) بمكة حينما خرج أبوه وأمه إلى الحج عام 100 هـ أو قريبًا منها، وفتح عينيه على الحياة؛ ليجد الثراء يحيط به من كل جانب؛ فعاش حياة الترف والنعيم، يأكل ما يشاء من أطيب الطعام، ويركب أحسن الجياد، ويلبس أفخم الثياب.

وفي يوم من الأيام خرج إبراهيم ابن ادهم راكبًا فرسه، وكلبه معه، وأخذ يبحث عن فريسة يصطادها، وكان إبراهيم يحب الصيد، وبينما هو كذلك إذ سمع نداء من خلفه يقول له: (يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت) فوقف ينظر يمينه وشماله، ويبحث عن مصدر هذا الصوت فلم ير أحدًا، فأوقف فرسه ثم قال: والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي.

ورجع إبراهيم بن أدهم إلى أهله، فترك حياة الترف والنعيم ورحل إلى بلاد الله الواسعة ليطلب العلم، وليعيش حياة الزهد والورع والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يكن إبراهيم متواكلاً يتفرغ للعبادة والزهد فقط ويعيش عالة على غيره، بل كان يأكل من عمل يده، ويعمل أجيرًا عند أصحاب المزارع، يحصد لهم الزروع، ويقطف لهم الثمار ويطحن الغلال، ويحمل الأحمال على كتفيه، وكان نشيطًا في عمله، يحكي عنه أنه حصد في يوم من الأيام ما يحصده عشرة رجال، وفي أثناء حصاده كان ينشد قائلا:

اتَّخِذِ اللهَ صاحبًا ∴ ودَعِ النَّاسَ جانباً

وظل إبراهيم ينتقل من مكان إلى مكان، زاهدًا وعابدًا في حياته، فذهب إلى الشام وأقام في البصرة وقتًا طويلاً، حتى اشتهر بالتقوى والعبادة، في وقت كان الناس فيه لا يذكرون الله إلا قليلًا، ولا يتعبدون إلا وهم كسالي.

وكان إبراهيم بن أدهم شديد التواضع، لا يحب الكبر، كان يقول: (إياكم والكبر والإعجاب بالأعمال، انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، من ذلل نفسه؛ رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه) ودخل إبراهيم بن أدهم المعركة مع الشيطان ومع نفسه مصممًا على الانتصار، وسهر الليالي متعبداً ضارعًا باكيًا إلى الله يرجو مغفرته ورحمته، وكان مستجاب الدعاء.

وكان أكثر دعائه: (اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك) وكان يقول:

(ما لنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا) وقال: (كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيًّا فهو والذئب سواء، وكل من ذلَّ لغير الله، فهو والكلب سواء) وكان يقول لأصحابه إذا اجتمعوا: (ما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء).

وكان إبراهيم راضيًا بحالة الزهد القاسية، وظل يكثر من الصوم والصلاة ويعطف على الفقراء والمساكين إلى أن مات رضوان الله عليه سنة 162 هـ [1]

مواقف من حياة إبراهيم بن أدهم:

يا قسورة:

قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا قال: أرنيه، فلما رآه، قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهباً قال: أحسبه قال: يصوت بذنبه قال: فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا. قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها، فما عرض لي لص ولا غيره [2].

في فم كل واحدة منهن دينار واحد

حدث صالح بن سليمان، أو غيره قال: احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار، وكان على شاطئ البحر، فدعا الله عز وجل، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد، فأخذ ديناراً واحداً[3]

(1) مصادر الترجمة: التاريخ الكبير: 1 / 273، المعرفة والتاريخ: 2 / 455، الجرح والتعديل: 2 / 87. مشاهير علماء الأمصار: 183، حلية الأولياء: 7 / 367 حتى 8 / 58، تاريخ ابن عساكر: خ: 2 / 186 ، الكامل لابن الأثير: 6 / 56، تهذيب الكمال: خ: 49 - 51، تذهيب التهذيب: خ: 1 / 32 - 33، عبر الذهبي: 1 / 238، فوات الوفيات: 1 / 13 - 14، الوافي بالوفيات: 5 / 318 - 319، البداية والنهاية: 10 / 135 - 145، طبقات الأولياء: 5 - 15، تهذيب التهذيب: 1 / 102 - 103، خلاصة تذهيب الكمال: 15، شذرات الذهب: 1 / 255 - 256، تهذيب ابن عساكر: 2 / 170 - 199.

(2)ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - 1 / 140.

(3)ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - 1 / 142.

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: " هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ هاهنا شيئاً؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فانتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنانير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا " [1]

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم، قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل

(1) ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، 1413، 1 / 35.

لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع [1].

ما لك حيلة؟

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا ابن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا ابن بشار، كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا ذا فاقة مرزوقاً. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل [2].

فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع وروى، وانتقل - عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فأضر بالحلال الصافي فيها، إلا ما لا بد له منه، من كسرة شربها صلبه، وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه [3].

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر 1420هـ - 2000م، 1 / 55.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 62.

(3) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 98.

المواساة من أخلاق المؤمنين

حدث إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتماً حزينا، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئاً، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعه إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين [1].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف

(1)) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 /110.

كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟ !(1)

كان ذلك أول أمرى

قال إبراهيم بن زياد المقرىء: قال إبراهيم بن أدهم عن ابتدائه كيف كان قال: كنت يوماً في مجلس لي له منظرة إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه أطمار وكان يوماً حاراً فجلس في فيىء القصر ليستريح فقلت للخادم اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسله أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي فخرج إليه فقام معه فدخل إلي فسلم فرددت عليه السلام واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي وعرضت عليه الطعام فأبى أن يأكل فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراء النهر فقلت: أين تريد؟ قال: الحج إن شاء الله تعالى قال: وكان ذلك في أول يوم من العشر أو الثاني فقلت: في هذا الوقت فقال: بل يفعل الله ما يشاء فقلت: الصحبة فقال: إن أحببت ذلك حتى إذا كان الليل قال لي: قم فلبست ما يصلح للسفر وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 134.

لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه فقدم إلينا خبزاً وبيضاً وسألنا أن نأكل فأكلنا وجاء بماء فشربنا وقال لي: بسم الله قم فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول هذه مدينة كذا هذه مدينة كذا هذه الكوفة ثم قال الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال بسم الله قال فجعل يقول هذا منزل كذا هذا منزل كذا وهذه كذا وهذه المدينة وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فصرنا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرناه ثم فارقني وقال: الموعد في الوقت من الليل في المصلى حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل ففارقني فقبضت عليه وقلت: الصحبة فقال: إني أريد الشام فقلت: أنا معك فقال لي: إذا انقضى الحج فالموعد هاهنا عند زمزم حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث فإذا نحن ببيت المقدس فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام إن شاء الله هاهنا ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرَّفني اسمه قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ فكان ذلك أول أمري.

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن بشار ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم فبينا نحن نسير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب

إليه فقالوا: يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول: لا أفلح من لم يكن استعد لمثل هذا اليوم ثم حرك شفتيه وإذا هاتف ينادي من اللجة تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب [1].

أعز الأشياء في آخر الزمان

قال: سمعت منصور بن مجاهد والد محمد بن منصور جارنا، يقول: سمعت رشيد بن سعد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة،: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

أيكم إبراهيم بن أدهم؟

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم جالساً معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربوع عليه أثر سفر، حتى وقف علينا، فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ قال إبراهيم: أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه، قال: أي شيء أردت؟ قال: أنا غلامك، بعثني إخوتك إليك، ومعي عشرة آلاف وفرس وبغلة. فقال له إبراهيم: إن كنت صادقاً فأنت حر، وما معك لك، اذهب اذهب لا تخبر أحداً.

كن ذنباً ولا تكن رأساً

حَدَّثَنا بقية بن الوليد قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أكنيك أم أدعوك باسمك؟ قال: إن كنيتني قبلت منك، وإن دعوتني باسمي فهو أحب إلي. قال: فمدحته - أو قال: أثنيت عليه، قال: ففطن، فقال: لروعة

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403 - 1983، 1 / 160.

يروع صاحب عيال، أفضل مما أنا فيه. قال: قلت له: أوصني. قال: كن ذنبا ولا تكن رأساً، فإن الرأس يهلك، ويسلم الذنب [1].

أخرجوه فقد استقتل!

وَقَال أبو صالح الفراء، عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة. فقال له: من أين معيشتك؟ قال إبراهيم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا :: فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال: فقال الوالي: أخرجوه فقد استقتل!

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناساً بأدنى الدين قد :: ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
قنعوا : فاستغن بالله عن دنيا الملوك :: كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[2]

أنا ظننت فيكم خيراً

عن إبراهيم بن أدهم إنّه كان في بعض السّواحل ومعه رفقاءٌ له ومعهم حميرٌ لهم فجاء إليهم رجلٌ فقال: أريد أصحبكم وأكون معكم فكأنّهم كرهوا ذلك فلما خرجوا إلى ساحل البحر والرّجل معهم قال إبراهيم بن أدهم للحمار: زر فصاح الحمارٌ فانصرف الرّجل عنهم وقال: أنا ظننت فيكم خيراً فصرفوه بهذا [3].

(1) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [654 - 742]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1400 - 1980، 2 / 35.
(2) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 36.
(3) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام

ما تهنَّيت بالعيش إلا هنا

سمعت شقيق البلخيّ يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في الشام، فقلت: تركت خراسان قال: ما تهنَّيت بالعيش إلا هنا، أفر بديني من شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: حمال: يا شقيق: لم ينبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج بل من كان يعقل ما يدخل بطنه، يا شقيق: ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم عن زكاة، ولا عن جهاد، ولا صلة، إنما يسأل عن هذا هؤلاء المساكين. قلت: هذا القول من إبراهيم رحمه الله ليس على إطلاقه، بل قد نبل بالجهاد والقرب عدد من الصفوة.

هذه جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال بقية: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعام له وجلس، فوضع رجله اليسرى تحت إليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها ثم قال: هذه جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس جلسة العبيد.

أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته.

قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلمّا كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلمّا أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرَّستن فنكري أنفسنا مع الحصّادين قال: نقم، فأتينا باب الرَّستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت

عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - 1997م، 74/1.

بـه، فاشـتريت حـاجتي، وتصـدّقت بالبـاقي، فهيّأتـه، وقدمتـه إليـه، فلمّـا نظـر إليـه بكـى، قلـت، مـا يبكيـك قـال: أمّـا نحـن فقد استوفينا أجورنـا، فليـت شـعري أوفينـا صـاحبنا أم لا قـال: فغضـبت، قـال: مـا يغضـبك أتضمن لي أنَّا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به.

لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن أدهم قال: أخاف أن لا يكون لـي أجر في تركـي أطايب الطعام، لأنّـي لا أشتهيه، وكـان إذا جلس علـى طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قـال رجـل لإبـراهيم بـن أدهـم: لـو تزوَّجـت، فقـال: لـو أمكننـي أن أطلِّق نفسي لفعلت.

صيّر مالي وماله واحداً

دخل إبراهيم بن أدهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى بـه ناطفاً، وقدّمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنَّكم تأكلون في رهن.

قـال عصـام بـن داود بـن الجرّاح: كنـت ليلـة مـع إبـراهيم بـن أدهـم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظـر إلـى سرجي فقال، خذ ذاك السَّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

ما إيّاك عنيت

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن علـى الله قـال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إيّاك عنيت.

ليس إيّاك أردت

قال عيسى بن حازم الَّنيسابوريّ: كنّا مـع إبـراهيم بـن أدهـم بمكـة،

فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إيّاك أردت.

قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك

قال بقّية قال: كنّا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبّت ريح وهاجت الأمواج، واضطّربت السفينة، وبكى الناس فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه فرفع رأسه، وقد أشرفنا على الهلاك، فقال ياحيّ حين لاحيّ، وياحيّ قبل كلّ حيّ، ويا حيّ بعد كلّ حيّ، يا حيّ يا قيُّوم، يا محسن، يا مجمل، قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة فى ساعتها.

فهو واللّصّ سواء

وعن إبراهيم قال: كلّ ملك لا يكون عادلاً فهو واللّصّ سواء، وكلّ عالم لا يكون ورعاً فهو والذِّئب سواء، وكلّ من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلةٍ واحدة.

أوتروا لي قوسي

وقيل إنّ إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كلّ مرّة يجدّد الوضوء، فلما أحسّ بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفّي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

وأيّ دين لو كان له رجال

قال إبراهيم بن بشّار الصوفي، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيّ دين لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحبّ إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقةٍ يرجى نومها، ولا المنيّة بعذر

فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

فرزق الله مضمون، سيأتيك

وأمسينا ليلة مع إبراهيم وليس لنا شيء نفطر عليه، فرآني حزيناً فقال: يا ابن بشّار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حجّ، ولا صدقة، ولا صلة رحم، لا تغنّم، فرزق الله مضمون، سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، نحن والله الذين تعجلّنا الراحة، لا نبالي على أيّ حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فقال: أطعمونا فدفع إليه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين.

سارع إلى أمر الله

وكنت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنَّم، فترحّم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سرّ ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ، فإننا على باق، ولا تغترَّنّ بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أنّ بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: سارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السماوات والأرض أعدَّت للمتقين فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة،

فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.

ليس لذا خلقت

قال إبراهيم بن بشّار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدوّ أمرك قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعلّ الله أن ينفعنا به يوماً، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبَّب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي ومعي كلبي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلم أر أحداً فقلت، لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت، انتهيت انتهيت، جاءني نذير من ربّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربّي. فرجعت إلى أهلي، فخلَّيت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت منه جبَّة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصِّيصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإنّ فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيتها، فعملت بها أنظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فكتبت في البستان مدّة، فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناظور، اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمّان، فكسر رمّانة فوجدها حامضة فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورمّاننا، لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها. فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو

أنّك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عتق من الناس، فلمّا رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.

باع حماره واشترى شهوتي

عن سهل بن إبراهيم قال: صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتهيت شهوة، فباع حماره واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أيّ شيءٍ نركب قال: على عنقي، قال: فحمله ثلاثة منازل.

لا تشغلاني عن عملي

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلّما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي.

قد أبررت يمينك

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سمعت أبا الوليد يقول: ربّما جلس إبراهيم بن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسّر الصنوبر فيطعمنا.

وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السَّرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل.

مالي فيها حاجة

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل

بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول.

من عرف نفسه

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح. يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عمّا كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، فبكى، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

وعن إبراهيم قال: حبُّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا.

اهربوا من الناس

قال إبراهيم بن بشّار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلَّفوا عن الجمعة والجماعة.

نشكو إليك ما يفعل بنا

عن المعان بن عمران قال: شكا الثَّوريّ إلى إبراهيم بن أدهم فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال: أنت شهرت نفسك بحدّثنا وحدّثنا.

على القلب ثلاثة أغطية

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن،

والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذّب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم.

عند مولاه كل ما يريد

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحرّ المريد أن يتذللّ للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد [1].

ليقم السّابقون الأولون

وقال مؤمّل بن إهاب: رأى رجل كأن القيامة قد قامت، ونودي: ليقم السّابقون الأولون، فقام سفيان الثَّوريّ، ثمّ قام سليمان الخوّاص. ثم نودي: ليقم السّابقون، فقام إبراهيم بن أدهم [2].

ما حملك على الخروج من الدنيا؟

إبراهيم بن أدهم قال: لقيت رجلاً بالأسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال: من أنت يا غلام؟ فقلت: شاب من أهل خراسان قال: ما حملك على الخروج من الدنيا؟ فقلت: زهداً فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه: وأي شيء الصبر فقال: إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال: قلت ثم مه قال: إذا كان محتملاً للمكاره أورث الله عزوجل قلبه

(1) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. 1407هـ - 1987م، 10 / 49 - 58.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 10 / 253.

نوراً قلت: فماذا النور؟ قال: سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل إياك والبخل قلت: وما البخل؟ قال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل [1].

أنت أستاذنا

وقال إبرهيم لشقيق: " علام أصلتم أصولكم؟ " فقال: " إذا رزقنا أكلنا، واذا منعنا صبرنا ". فقال إبرهيم: " هكذا كلاب بلخ! إذا رزقت أكلت، واذا منعت صبرت. إنا أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا، واذا منعنا حمدنا وشكرنا ". فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: " أنت أستاذنا! " [2].

مات وكفن في الملاءتين

عن إبراهيم بن أدهم قال حدثني رفيقة قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس فنفذ زادنا في الطريق فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا وبلغ منا الجهد فقلت ندخل القرية عسى نطلب عملاً فإذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطاً قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد

(1) ابن الجوزي، صفة الصفة، 4 / 334.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، 1 / 1.

تقبلت عملاً فجعل يعمل عمل الرجال وأعمل عملاً ضعيفاً فجاؤنا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام فقال لي: هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار فقلت: لا قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع فأتينا قرية من قرى حمص فإذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل قال: ما اسمه؟ قلت: فلان بن فلان فأكل وأكلت ثم أتينا عمق إنطاكية وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهماً فقلت: آخذ نصف هذه وأرجع ما بي قوة على صحبته فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس قال: ما أنت لي مصاحباً فدخل إنطاكية واشترى ملاءتين من تلك الدراهم فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان بن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إلىَّ بقية الدراهم وبقي ليس معه شئ فدفعت الملاءتين إلى الرجل فقال: من بعث بها؟ قلت: إبراهيم بن أدهم فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حيناً فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي: مات وكفن في الملاءتين.

إذا حصد يسبقهم:

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده [1].

ونحن ندعوه منذ دهر

قال شقيق بن إبراهيم: مر إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إنّ الله يقول في كتابه: (ادعوني أستجب لكم) (غافر: 60) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله عليه السلام وتركتم سنته، والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم [2].

اضرب رأساً طالما عصى الله

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 7 / 374.
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 45.

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ [1].

أعجبني صدقك

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: علي أن أكون أملك لشيئك منك. قال لا، فقال إبراهيم: أعجبني صدقك.

أفر بديني من شاهق إلى شاهق

قال سفيان بن عيينة: رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر بديني من شاهق إلى شاهق.

ومنه يكون الفرح

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك [2].

(1) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى 1418هـ - 1998م، 1 / 8، 123، 2 / 162، 164.

(2) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - 1423 هـ - 2002 م، 2 / 90.

المريب خائف

ومر إبراهيم بن أدهم بباب المنصور فنظر إلى السلاح والحرس فقال: المريب خائف [1].

رأيت رب العزة في المنام

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت رب العزة في المنام فقال:قل اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أي- لهمني- شكر نعمائك.

فأنت الراكب وأنا الماشي

وخرج يوماً إلى الحج ماشياً فرآه رجل على ناقته فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج قال: أين الراحلة؟ فإن الطريق بعيد قال لي: مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال: سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي.

طاعته موقوفة منذ سنة

اشترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه تمراً من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظاناً أنهما من التمر الذي اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول أحدهما للآخر: من هذا؟

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 7 / 57.

قال: إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان غير أن طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسأل ولده أن يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه: هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال.

كنتُ أسألُ الله لك الجنة

أتى جُنْدِيٌ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فدّله على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربهُ حتى أدماهُ، فقيل للجندي: هذا الأمير بن أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيمُ: لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فخملتُ رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألت لك الجنة.

أما علمت أن الموت أمامك

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله بن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطال، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً ليلاً أو نهاراً ثم القبر وهول المطلع ومنكر ونكير

وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛ فأبكاهم ومضى [1].

المال مال الله

عن إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال: نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذه منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم.

يا رب أرني رفيقي في الجنة

قال إبراهيم بن أدهم يا رب أرني رفيقي في الجنة فقيل له في منامه إنها امرأة سوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي زوجتك في الجنة فلما سار إليها سلم عليها قالت: وعليك السلام يا إبراهيم قال: من أخبرك أني إبراهيم؟ قالت: النبي أخبرك أني زوجتك في الجنة فقال: يا سلامة عظيني قالت: عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك حرام.

إبراهيم محب المحبين

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكاً نزل من السماء فسألته عن حاله فقال: نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت: هل أنا منهم؟ قال: لا فقلت: إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد

(1) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 / 319، 374.

أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم [1]

ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام

- وكان رضي الله عنه يقول: من تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه، وقال رضي الله عنه لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد لقيتني امرأة زمنة فقالت: إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه ولا تر أنه فوقك ولا تحتج لنفسك محقاً كنت أو متهما لأنك إن هبته سلطه الله عليك وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا لأنك باهت الله فيما يعلمه وإن كنت بريئاً فادع الله تعالى أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها فقلت لها: سمعاً وطاعة فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة. فسكت فقال وزيره، هو حقيق عندي بما قيل فيه ثم قال لي لم لا تتكلم؟ فقلت يا أمير المؤمنين إن قلت لا كذبت المسلمين وإن قلت نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني فافعل أنت ما ترى فإني غير منتصر لنفسي فقال المتوكل: هو رجل بريء مما قيل فيه فخرجت إلى العجوز فقلت لها: جزاك الله عني خيراً فعلت ما أمرتني به فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام [2].

من يرعى الغنم؟ !

قال أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لي: اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم لي قدحاً أخضر فيه

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم ماردیني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 / 2002، 1 / 69، 87، 133، 2، 295.

(2) الشعراني، الطبقات الكبرى، 1 / 69.

رائحة السكباج فقال لي: كل يا إبراهيم فرددته عليه فقال: إني سمعت الملائكة تقول من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يعطي، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان العالم طامعاً، وللمال جامعاً فبمن يقتدي الجاهل، وإذا كان الفقير المشهور بالفقر راغباً في الدنيا، والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته. وإذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم [1].

من كلام إبراهيم بن أدهم:

- عن إبراهيم بن أدهم عن عمران القصير قال: كان يقال: إن خير خصلة أو أفضل خصلة تكون في الإنسان أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم.

- حدث إبراهيم الشيخ بمصر قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق اعبد الله سراً حتى يخرج على الناس يوم القيامة كميناً.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالط، وإلا لم ينل ما يريد.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: التوبة الرجوع إلى الله بصفاء السر.

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قلب المؤمن أبيض نقي مجلي محلى مثل المرآة، فلا يأتيه الشيطان من ناحية من النواحي بشيء من المعاصي إلا نظر إليه كما ينظر إلى وجهه في المرآة؛ فإذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب من ذنبه محيت النكتة من قلبه وانجلى، وإن لم يتب وعاود أيضاً وتتابعت الذنوب ذنب بعد ذنب نكت في قلبه نكتة نكتة حتى يسود

(1) الشعراني، الطبقات الكبرى، 1 /75.

القلب، وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب في إبطاء، فما تنجع في هذا القلب المواعظ، فإن تاب إلى الله قبله الله وانجلى عن قلبه كجلي المرآة.

- وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: إن للذنوب ضعفاً في القوة، وقسوة في القلب؛ وإن للحسنات قوة في البدن، ونوراً في القلب.

- عن أبي عبد الله الملطي قال: كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

- عن خلف بن تميم سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لا ينبغي للرجل أن يضع نفسه دون قدره، ولا يرفع نفسه فوق قدره.

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إذا أردت أن تعرف الشيء بفضله فاقلبنه بضده فإذا أنت قد عرفت فضل ما أوتيت[1].

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: الهوى يردي وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك.

- قال إبراهيم العكاشي: سمعت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يحدث الأوزاعي قال: قال مالك بن دينار: من عرف الله تعالى لفي شغل

(1) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 /348.

شاغل، الويل كل الويل لمن ذهب عمره في الدنيا باطلاً.

- قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه معصية الله بعيدة من الجوعان قريبة من الشبعان والله المستعان.

- قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرَّهم سترُ الله عز وجل، وفتنَهم حسنُ الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرِك بك علمَك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين مقصّرين، وإلى الأهواء مائلين؛ قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

- وقال إبراهيم بن أدهم من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط القربة ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط المحبة ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة [1].

- كان إبراهيم بن أدهم ماراً في بعض الطرق، فسمع رجلاً يغني بهذا البيت:

كل ذنب لك مغفو ⁝ ر سوى الإعراض عني

فغشي عليه، وسمع الشبلي رجلاً ينشد:

أردناكم صرفاً فإذ قد مزجتم ⁝ فبعداً وسحقاً لا نقيم لكم وزنا

- وقال إبراهيم بن أدهم: سألت راهباً من أين تأكل؟ قال: ليس

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 / 2002، 1 /91، 202.

هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني [1].

- كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثورى: " من أطلق نظَرة طال أسفُه، ومن أطلق أمله ساء عملُه، ومن أطلق لسانَه قتل نفسه.

- قال إبراهيم بن أدهم: الغيرة أن يهاجر من سواه حتى يبلغ مقام الأنس ويقف بين الخوف والرجاء [2].

- قال إبراهيم بن أدهم: اطلب لأخيك المعاذر من سبعين باباً، فإن لم تجد له عذراً فاعذره أنت.

- كان إبراهيم بن أدهم إذا نشط لعمل الخير ارتجز بقوله:

اجعل الله صاحباً : ودع الشر جانبا
ألم تر أن سير الخير وريث :: وأن الشر صاحبه يطير

- وقال إبراهيم بن أدهم: كنا نرجو الشباب، فإذا تكلم عند من هو أكبر منه أيسنا من كل خير عنده.

- وقال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال! يحملون زادنا إلى الآخرة.

- وقال إبراهيم بن أدهم: ما لنا نشكو الفقر إلى فقراء مثلنا ولا نطلب كشفه من عند ربنا؟ ثكلت عبداً أمه أحب عبداً لدنياه ونسي ما

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - 1424 هـ 2003 م، 1/ 296.
(2) المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، 1 / 47.

في خزائن مولاه.

- وقال إبراهيم بن أدهم: لأن أدخ النار وقد أطعت الله أحب إلي من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله.

- وقال إبراهيم بن أدهم: اكتسب فإنك إن لم تفعل احتجت فداهنت الناس للطمع، فخالفت حينئذ الحق وأهله.

- وكان إبراهيم بن أدهم إذا أهدي إليه شيء لم يرده، وكافأ بمثليه، فإذا لم يجد إلا ثوبه خلعه.

- وقال إبراهيم بن أدهم: كن ذنباً ولا تكن رأساً، فإن الذنب ينجو، والرأس يهلك.

- وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فلم أجده [1].

- ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه وقال: أكلاماً ترجو منه ثواب؟ قال: لا قال: أفتأمن عليه العقاب؟ قال: لا قال: فعليك بذكر الله، ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً؟ .

- وكان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح يقول: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون.

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 /128 - 212 - 244 - 247 - 268 - 308 - 420 - 483.

- وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدهم شيئاً فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: أتحب أكثر منه؟ قال: شديداً. قال: إنك فقير وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني؛ عنى بذلك ما روي: الغنى غنى النفس [1].

- وقال رشيد بن سعد: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الاشياء في آخر الزمان ثلاثة،: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

- حدث إبراهيم بن بشار قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: فروا من الناس فراركم من السبع الضاري ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعات.

- قال بشر بن الحارث: رئي إبراهيم بن أدهم مقبلاً من الجبل قيل له: من أين أقبلت؟ قال: من أنس الله عز وجل ثم قال:

اتخذ الله مؤنساً ... ودع الناس جانبا
وتشاغل بذكره ... إن في ذكره الشفا
وارض منه بما قضى ... إن في ذلك الغنا [2]

- قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب.

أولاها: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 240، 490، 2 / 32.
(2) أبو الحسين بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، 2 / 153.

والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل

والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد

والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر

والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر

والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت [1]

- قال عبدالله السندي: قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه: خرج رجل في طلب العلم فاستقبل حجراً فإذا فيه اقلبني تعتبر فبقي الرجل لا يدري ما يصنع به فمضى ثم رجع فقلبه فإذا هو منقور أنت لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب علم مالا تعلم قال: فانصرف الرجل إلى منزله.

- قال محمد بن أبي رجاء القرشي: قال إبراهيم بن أدهم: إنك إذا أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك شين قبح المعصية.

- قال المتوكل بن الحسين: قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالفرض الزهد في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات.

- إبراهيم بن أدهم قال: كان يقال ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم.

- وقال إبراهيم بن أدهم عن ابن عجلان قال: ليس شيء أشد على إبليس من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم وقال

(1) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ 1998م، 1 / 42.

إبليس: لسكوته أشد علي من كلامه.

- قال إبراهيم بن أدهم: نظرت فلم أجد الخلق أتوا في أفعالهم إلا من ثلاثة أشياء: من الفرج بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، لأن من فرج بالموجود حرص، والحريص محروم، ومن حزن على المفقود سخط، والساخط معذب، ومن سر بالمدح أعجب، والمعجب ممقوت [1].

- وقال إبراهيم بن أدهم: فرغ قلبك من ذكر الدنيا، يفرغ عليك الرضا إفراغا.

هذه الدنيا وإن سر ... ت قليل من قليل
إنما العيش جوار الله ... في ظل ظليل
حيث لا تسمع ما يؤ ... ذيك من قال وقيل

كفاك منغصاً للدنيا أن الله يعصي فيها.

- وكذلك كان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول: من آنسه الله بقربه أعطاه العلم من غير طلب وكان يقول ليس بعاقل من تعلم العلم فعرف به ثم آثر بعد ذلك هواه على عمله، وليس بعاقل من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، وليس بعاقل من نسي الله في طاعته وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة إليه.

- وكان رضي الله عنه يقول: تواضع لجميع خلق الله تعالى وإياك أن تتواضع لمن يسألك أن تتواضع له فإن سؤاله إياك يدل على تكبره في الباطن وتواضعك له يكون له عوناً على التكبر.

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 3 /91.

- وكان يقول رضي الله عنه: من نظر في عيوب الناس عمى عن عيب نفسه وكان يقول من طلب مع الخبز ملحاً لم يفلح في طريق القوم.

- وسئل رضي الله عنه عن كمال العقل وعن كمال المعرفة فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت تاركاً لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل وإذا كنت بالله عز وجل متعلقاً وغير ناظر إلى سواه من أحوالك وأعمالك فأنت كامل المعرفة.

- وكان رضي الله عنه يقول: قد غلب على العباد والنساك والقراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام، وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم يستحي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم.

- وسئل رضي الله عنه عن الحديث لم لا تشتغل به فقال للحديث رجال وشغلي بنفسي استغرق وقتي والحديث من أركان الدين ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستحلبون دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها فخانوا الله ورسوله وصار إثم كل من تبعهم في عنقهم جعلوا العلم فخاً للدنيا وسلاحاً يكسبونها بعد أن كان سراجاً للدين يستضاء به.

- وسئل رضي الله عنه عن العلماء بالقرآن فقال: هم الذين نصبوا الركب والأبدان. صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات عالية أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

- وكان رضي الله عنه يقول: العجب كل العجب من هؤلاء العلماء كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق.

- وكان يقول: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهياً لاهياً لاغياً معرضاً عن ذكر الله تعالى.

- وكان رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى لم يمنح أعداءه المحبة لجلاله وإنما صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

- وكان يقول: العارف لا يدوم على حزن ولا يدوم على سرور ثم قال: مثل العارف في هذه الدار مثل رجل توج بتاج الكرامة وأجلس على سرير في بيته قد علق فوق رأسه سيف بشعرة وأرسل على بابه سبعان ضاريان فيشرف على الهلاك ساعة بعد ساعة فأنى له السرور وأنى له الحزن قال بعضهم: السيف المعلق فوق رأسه الأحكام، والضاريان اللذان على الباب الأمر والنهي.

قال إبراهيم بن أدهم: أعربنا في الكلام فلم نلحن، ولحنا في الأعمال فلم نعرب.

- قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنا منذ عشرين سنة في طلب

أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده [1].

- وقال ابن بكار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: نحن نسل من نسل الجنة سبانا منها إبليس بالمعصية، وحقيق على ابن آدم ألا يهنأ بعيشه حتى يرجع إلى وطنه [2].

- قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به.

- أصيب مكتوباً على صخرة: لست مدركاً أملك، ولا فائتاً أجلك، ولا آخذاً ما ليس لك [3].

* * *

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 4 / 97.
(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 4 / 238.
(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 / 239.